بين آل عقيل وآل المهلب

العراقيون... أهل بحث عن الآراء وتمييز بين الرؤساء وإظهار عيوب الامراء

رشيد الخيون

أعجب العجب ان تتشرذم الخلافة الاسلامية، بعد موت معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان، كل هذا التشرذم، ثم تعود لآل أمية ممثلين بمروان بن الحكم. حدث ذلك بعد ان ضاقت الدنيا بابن الحكم، الذي قال لابنه عبد الملك: "يا بني! ان ابن الزبير قد اخرجني"! ويعني اخراج آل أمية من المدينة كافة. وكان عبد الملك "عليلاً مجدوراً"، فحمل ابنه، الخليفة وابو الخلفاء في ما بعد، معه ملفوفاً بالقطن. ولم يبق من بلدان الدولة الاسلامية، التي وسعها معاوية في الفتوح، مخلصة للامويين سوى الاردن. ومن العجب ايضاً ان يستولي عبد الله بن الزبير على الحجاز، والعراق، ومصر وجزء كبير من الشام، وينتهي محصوراً عند جدار الكعبة، وتلاحق الحركة الشيعية، وتتحول إلى السرية، بعد تصفية قتلة الحسين، ليستولي ذلك العليل بالجدري من جديد على زمام الخلافة، ويخلع خالد بن يزيد بن معاوية، ومن بعده عمرو بن سعيد بن العاص، من ولاية العهد بعد ابيه مروان بن الحكم، حسب الاتفاق المعقود بين الثلاثة.

عندما تشتد السياسة، مهيمنة على الدين، وتجعله واسطة إلى السلطة، لا تتأخر من تقنين اصوله وفروعه. لهذا عبد الله بن الزبير عندما وجد في بني هاشم عداوة ترك الصلاة على النبي محمد في خطبته بمكة. "فقيل له لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: ان له اهل سوء يشرئبون لذكره، ويرفعون رؤوسهم اذا سمعوا به" (تاريخ اليعقوبي). وان عبد الملك بن مروان منع اهل الشام من الحج إلى الكعبة "ذلك لأن ابن الزبير كان ياخذهم، اذا حجوا بالبيعة". ولما احتج الناس أتى براوية الحديث المشهور ابن شهاب الزهري ليروي لهم ما يبرر تصرفه. فقال الزهري عن النبي محمد: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس". قال عبد الملك: ومسجد بيت المقدس يقوم لكم مقام المسجد الحرام وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة" (وردت الرواية في اكثر التواريخ).

ولأمر سياسي ممزوج بالديني قام عبد الملك "وبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، واقام لها سدنة. واخذ الناس بان يطوفوا حولها، كما يطوفون حول الكعبة" (تاريخ اليعقوبي). وعلى هذا المنوال يغلف السياسيون طموحاتهم الشخصية والفئوية بالدين تغليفاً مفضوحاً، فحتى يأتي وزيراً يزايد في الصلوات على النبي ويهدر دم ابن النبي اذا اعترض عليه.

تشرذمت الخلافة الاسلامية، وما زال البكاءعليها، تحت عدة مسميات، خلافة راشدية او فاطمية وعلوية، او عربية مجيدة. وكأن الدماء التي سفكت من اجلها باسم الدين كانت مياه مزن، لم تجر في عروق بشر! فبعد موت مروان بن الحكم (٦٥هـ) وقفت بعرفات اربع رايات، كل يدعو لصاحبه باسم القرآن والنبي محمد. والرايات هي: لمحمد بن الحنفية في اصحابه، ولابن الزبير في اصحابه، ولنجدة بن عامر الحروري (الخوارج)، ولبني امية. حصل هذا بعد حوالي خمسة عقود من وفاة النبي، وقد رفعت الرايات المتناحرة اسمه جميعاً. وفي هذا المشهد المريع قال المساور بن هند بن قيس: "وتشعبوا شعباً، فكل قبيلة فيها امير المؤمنين"! وما زالوا متشعبين شعباً متناحرة، يأخذون الناس بالدعوة إلى الدين. ومن عجز عن تحقيق مراده بالسيف لجأ إلى اللعب على سذاجة العوام.

قلنا من اعجب العجب ان تعود الولاية إلى عبد الملك بن مروان، الفتى المصاب بمرض الجدري اللعين. حمله ابوه ملفوفاً بالقطن، حتى لا يتساقط جلده ولحمه. عادت له بعد قتل امير العراق مصعب بن الزبير، ثم قتل الخليفة الموازي عبد الله بن الزبير، واخضاع محمد بن الحنفية، وتعطيل ولاية العهد لخالد بن يزيد وعمرو بن سعيد.

وعلمنا انه الغى الحج وهو الفريضة التي وردت في القرآن، من دون ان يجد تعنيفاً في الغائها، ما زال هناك نص يروى عن النبي، وهو الحج إلى احد الثلاثة مساجد. ولم يجد ابن الزبير تعنيفاً في الغاء الصلاة على النبي، مثلما لم يجد معاوية تعنيفاً في شرعنة شتم علي بن ابي طالب مع فروض الصلاة.

هناك اسرتان، آل عقيل وآل المهلب، لعبتا دور الدين ودور السياسة في ترسيخ الحكم الاموي، وفي ارض تغور بالثورات، هي ارض وهم اهل العراق. واعود مذكراً بمقالتي ابن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وعز الدين ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ) في امر ثوران العراقيين. قال الجاحظ: "العلة في عصيان اهل العراق على الامراء، وطاعة اهل الشام، ان اهل العراق اهل نظر وذوو فطن ثاقبة. ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث. ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح، والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، واظهار عيوب الامراء" (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة). وقال عز الدين بن ابي الحديد المدائني، العلوي الهوى والشافعي المذهب: "مما ينقدح لي من الفرق بين هؤلاء القوم وبين العرب الذين عاصروا رسول الله، صلى الله عليه وآله، ان هؤلاء من العراق وساكني الكوفة. وطينة العراق ما زالت تنبت ارباب الاهواء واصحاب النحل العجيبة، والمذاهب البديعة واهل هذا الاقليم اهل بصر وتدقيق ونظر، وبحث عن الآراء والعقائد، وشبه معترضة في المذاهب. وقد كان منهم في ايام الاكاسرة مثل ماني وديصان ومزدك وغيرهم" (المصدر نفسه).

استنزف الحجاج بن يوسف الثقفي (٩٥هـ) العراق بالخراج والحروب والقتل، طوال عشرين سنة. تركه خاوياً، يتعثر اهلوه بشبح جلاده وصاحب عذابه. ولم تكن بعده ولاية العراق مغرية لأحد. فمن يخلف الحجاج عليه ان ينسى العراقيين ايامه العجاف. يقلل من الاسراف بالاموال والدماء، أي التقليل من الخراج والحروب. ولهذا حاول يزيد بن المهلب (قتل ١٠٢هـ) الاعتذار لسليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ)، ان لا يتولى امر العراق بعد الحجاج.

جاء في الرواية: "ان يزيد نظر لما ولاه سليمان ما ولاه من امر العراق في امر نفسه. فقال: ان العراق قد اخر بها الحجاج، وانا اليوم رجاء اهل العراق. ومتى قدمتها واخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج، ادخل الناس الحرب، واعيد عليهم تلك السجون، التي قد عفاهم الله منها. ومتى لم ات سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني. فاتى يزيد (ابن المهلب) سليمان فقال: ادلك على رجل يصير بالخراج توليه اياه، فتكون انت تأخذه به؟ صالح بن عبد الرحمن، مولى بني تميم. فقال له: قد قبلنا رأيك. فاقبل يزيد إلى العراق "(الطبري، تاريخ الامم والملوك). اصبح للعراق اميران، صالح امير الخراج ويزيد بن المهلب امير الجند او الحرب بينما كانت العادة ان تجمع امارة الصلاة والخراج والحرب لامير واحد، مثلما كان زياد بن ابيه والحجاج بن يوسف الثقفي.

اراد يزيد بن المهلب ان لا يتورط بتركة الحجاج حتى لا تقل منزلته لدى سليمان بن عبد الملك وكان يرغب في امارة خراسان، التي تولاها بعد وفاة والده المهلب بن ابي صفرة، واشرافه على منازل فتوح والده لذا دس صاحبه، عبد الله بن الأهتم وهو شخصية لها حظوتها عند الخليفة أن يقنعه بإبعاده عن إمارة العراق لامارة خراسان. فكتب ابن المهلب، بعد ضجره بالعراق، لسليمان بن عبد الملك يعلمه: ان ابن الاهتم له علم بالعراق وبخراسان، ومن الاصلح ان يستأنس بمشورته. فاستقدمه الخليفة وسأله ان يرشح له عاملاً لخراسان، فذكر له ابن المهلب. فرده سليمان بالقول: "ذاك بالعراق، والمقام بها احب اليه من المقام بخراسان" قال ابن الاهتم: "قد علمت يا امير المؤمنين. ولكن تكرهه على ذلك، فيستخلف على العراق رجلاً ويسير". قبل الخليفة الرأي، وكتب عهداً لابن المهلب على خراسان. استلم ابن المهلب كتاب التعيين وسار من ساعته، مفارقاً العراق إلى خراسان لكنه ظل مشرفاً على من اوكل لهم ولايات الكوفة وواسط والبصرة. وقيل مقابل رشوة اثبت ابن الاهتم ابن المهلب بخراسان بعد ان كاد سليمان بن عبد الملك يجعلها لوكيع بن ابي سود ذلك انه حمل رأس الوالي السابق قتيبة بن مسلم بعد شقه عصا الطاعة في الولاية.

جاء في الرواية "فجعل يزيد بن المهلب لعبد الله بن الاهتم مائة الف درهم على ان ينقر (يعيب) وكيعاً عنده. قال: "اصلح الله امير المؤمنين! والله ما احد اوجب شكراً، ولا اعظم عندي يداً من وكيع. لقد ادرك بثاري، وشفاني من عدوي. ولكن امير المؤمنين اعظم واوجب علي حقاً، وان النصيحة تلزمني لامير المؤمنين. ان وكيعاً لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة، خامل في الجماعة، نابه في الفتنة". فقال الخليفة: "ما هو اذا ممن نستعين به".

وهنا تخلص يزيد بن المهلب من منافسين له في امر خراسان، هما: قتيبة بن مسلم، الذي قتله وكيع بن ابي سود، ووكيع الذي اتهم بقتل قتيبة باكذوبة خلعه سليمان، او شق عصا الطاعة عن دار الخلافة كما ادعى وكيع.

كان يزيد بن المهلب من اشد القادة الذين اعتمد عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي في حربه ضد ثورة الرحمن بن محمد بن الاشعث. ومن الاسرى الذين سلمهم للحجاج الشاعر اعشى همدان، وراوية الحديث عامر الشعبي، والرجل الغني فيروز بن حصين، وعمر بن موسى صاحب شرطة ابن الاشعث، ومحمد بن سعد بن ابي وقاص وغيرهم. وكان الفرزدق الشاعر لساناً للحجاج عند محاكمة الاسرى. فقال له قم يا فرزدق انشده، ويعني ابن موسى ما قلت فيه. فقال:

وخضبت (.....) ولم تكن
يوم الهياج لتخضب الابطالا

لم يترك الحجاج يزيداً، فاخذ يوجر عليه قلب عبد الملك بن مروان، حتى عزله. بعد ان قرأ له في الطالع ان شخصاً اسمه يزيد سيخلفه على العراق، ولم يحدد له اي حياته ام بعد مماته! فاخذ آل المهلب وسجنوا في خلافة الوليد بن عبد الملك، وفروا من السجن، ليصلوا إلى سليمان بن عبد الملك، عبر جنوب العراق وصحراء السماوة، وهو بالرملة، فاجارهم. ولما طلب الوليد يزيد بن المهلب بعثه سليمان مقيداً في سلسلة واحدة مع ولده، فسقط ما بيد اخيه الخليفة الوليد لما رأى ابن اخيه مقيداً، فاعفى عنه. وقيل توسط لهم ايضاً عبد الملك. وظل ابن المهلب في حماية سليمان حتى مات الوليد ومات الحجاج، فعاد اميراً، كراهة على العراق.

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز سئل ابن المهلب عن اموال لسليمان بن عبد الملك لديه، وبعث مقيداً إلى الشام، فسجن هو واخوته واصحابه. لكنهم فروا ثانية من السجن، لما سمعوا بمرض عمر بن عبد العزيز، وقرب خلافة يزيد بن عبد الملك الشديد عليهم، فكان الحجاج عم زوجته ام الحجاج بنت محمد والي اليمن. ولهذا لن يرحم آل المهلب ان ظفر بهم ثاراً لعذاب ال عقيل، اهل الحجاج، بامر من سليمان. وذلك لتحبيذ الحجاج خلع سليمان من ولاية العهد لصالح ابن اخيه عبد العزيز بن الوليد. وقد فعل الحجاج ذلك مع عبد الملك بن مروان عندما حبذ له خلع اخيه عبد العزيز لصالح ولده الوليد.

بعد هذا لم يكن امام ابن المهلب إلا التمرد. فالعصيان بالعراق او خراسان لا ينفعانه ان لم يخلع الخليفة بدمشق. فقدم إلى البصرة واستولى عليها. ثم بسط سيطرته على واسط. واتته قوات الامويين من الكوفة ودمشق بقيادة مسلمة بن عبد الملك. فقتل واتي برأسه إلى دار الخلافة. اما اخوته فبحروا باموالهم في سفن من ساحل البصرة إلى البحرين. واشار عليهم اميرها ان لا يتركوا سفنهم، فالامويون يطلبونهم بلا كلل. بعدها أتوا كرمان من نواحي ايران، وهناك القي القبض عليهم، وحملت رؤوسهم واموالهم إلى مسلمة.

كان الحسن البصري (ت١١٠هـ) مراقباً الاحداث الجسام التي جرت على العراق واهله. وشاهداً على تقلب يزيد بن المهلب وآله، من سيوف بيد الامويين إلى ثائرين ضدهم. قال الحسن للبصريين، وهم يقفون بالرماح والرايات، ينتظرون خروج ابن المهلب، يدعوهم إلى سنة العمرين (ابن الخطاب وابن عبد العزيز): "انما كان يزيد بالامس قرب اعناق هؤلاء الذين ترون. ثم يسرح بها إلى بني مروان. يريد بهلاك هؤلاء رضاهم... ان من سنة العمرين ان يوضع قيد في رجله، ثم يرد إلى محبس عمر (ابن عبد العزيز)، الذي فيه حبسه" (تاريخ الامم والملوك). واتهم مروان بن المهلب البصري بتثبيط همم الناس ضد اهل الشام. قال خاطباً: "لقد بلغني ان هذا الشيخ الضال المرائي يثبط الناس. والله لو ان جاره نزع من خص داره قصبة لظل يرعف انفه. اينكر علينا وعلى اهل مصرنا ان نطلب حقنا، وان ننكر مظلمتنا! اما والله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه الينا سقاط الابلة، وعلوج فرات البصرة، قوماً ليسوا من انفسنا، ولا ممن جرت عليه النعمة من احد منا، او لأنحين عليه مبرداً خشناً".

عشرون سنة حكم العراق آل عقيل وعميدهم الحجاج. وكان اذا تغيب نادى بولده نائباً، وباخيه قائداً. مسك لآل مروان العراق، بينما مسك اخوه الآخر محمد بن يوسف اليمن لهم. واثبتت اسرة آل عقيل ولاءها باخلاص متناه للامويين، من آل عبد الملك. ولم ينزعوا يوماً ما إلى الخلافة، وكانوا مهيمنين بجند الشام. اما آل المهلب فكان لهم المشرق، خراسان وما بعدها، وهيمنتهم بجند العراق. اخلصوا لآل مروان، ووطدوا حكمهم وحكم الحجاج بالعراق. إلا ان التنافس مع آل عقيل على طاعة الخليفة جعلهم يميلون إلى محاولة التفرد بالعراق.

كانت عاقبة الاسرتين مأساوية. فبعد فطس عميدهم الحجاج قتل آل عقيل وعذبوا، ولم تبق منهم باقية لا بالشام ولا بالعراق. ولم تقم قائمة لأولاد المهلب واحفاده. حملت رؤوس يزيد، وحبيب، والمفضل، ومروان، وعبد الملك ومحمد تلاحقها نظرات السخط. والسعيد من يتعظ من تقلب الحدثان، فما رفعت شعائر الدين والمذاهب بعراق من اجل السلطة مثلما رفعها آل عقيل وآل المهلب. وعلى حد قول الفرزدق:

اظن رجال الدرهمين يسوقهم
إلى الموت آجال لهم ومصارع

المكتبة الوطنية.. معقل أخير للثقافة

تاريخها وهيكلها وآفاق تطورها

صافي الياسري

الوظيفة والتاريخ

المكتبة الوطنية هي المسؤولة عن اقتناء وحفظ النسخ لجميع المطبوعات الصادرة في البلد، وتقوم بوظيفة مكتبة ايداع، اما بقانون او بوساطة ترتيبات اخرى، اضافة إلى ذلك تقوم بتأهيل وتدريب الملاكات المطلوبة للعمل المكتبي وتنشط إلى جانب خدمات الاعارة في الانتاج الببلوغرافي والاحصاء وطرق ووسائل الارشفة والفهرسة والتصنيف وصيانة المقتنيات وحفظها. وتمارس بعض المكتبات الوطنية في عدد من البلدان دوراً مركزياً في الاشراف على مكتبات البلد وتحديد سياساتها وتنظيم اختيار المطبوعات والمواد المكتبية وتنسيق دخولها إلى البلد.

ويمكن القول ان وظيفة المكتبة الوطنية، تحددها السياسة الثقافية للنظام السياسي الذي يحكم بلد هذه المكتبة اكثر مما تحددها الحاجة الحقيقية للعمل المكتبي، وهذا ما كان واضحاً في خطوط الشخصية الاعتبارية للمكتبة الوطنية العراقية وطرائق ادائها التي تشكلت عبر تاريخها.

عام ١٩١٩ سعت مس غرترود بيل إلى تأسيس مكتبة عامة وشكلت لجنة لجمع التبرعات لهذا الغرض ضمت عدداً من الشخصيات الثقافية والوطنية العراقية، وتم فعلاً افتتاح المكتبة تحت اسم (مكتبة السلام) متخذة ركناً صغيرا في كنسية اللاتين في محلة رأس القرية عام ١٩٢٠ واشرف على ادارتها الاب انستاس الكرملي، وما لبثت ان انيطت ادارتها بوزارة المعارف (تسمية وزارة التربية انذاك) فنقلت إلى جناح في المدرسة المأمونية في باب المعظم، واضيفت إليها عام ١٩٢٩ مكتبة جمعية الشبان المسيحيين وتولى وزير المعارف انذاك (محمد رضا الشبيبي) التوجيه بشأن تنظيمها وتنسيق فهارسها، ثم نقلها إلى جناح مكتبة الاوقاف العامة في باب المعظم واصبح اسمها حينذاك (المكتبة العامة).

وفي عام ١٩٥٩ اقترح مديرها نهاد عبد المجيد على وزارة المعارف تحويلها إلى مكتبة وطنية، ولابد لي هنا من التنويه بدور هذا الرجل المثقف في تعميم الثقافة وتنشيط العمل المكتبي وتشجيع الجمهور والاطفال بخاصة على القراءة، هذا الرجل كان جارنا قرب جسر الصرافية في النصف الثاني من عقد الخمسينيات، وكان يأخذنا (نحن اولاد المحلة) إلى المكتبة العامة التي كانت تستأجر داراً في شارع الزهاوي قرب ساحة الكشافة، وكان يشجعنا بداية على قراءة المجلات المصرية المخصصة للاطفال اذكر منها مجلة (سمير)، ومع انه اصيب بالشلل النصفي إلا انه ظل يواصل عمله بهمة وجدية تليقان بروحه المثقفة الوطنية. وفي عام ١٩٦١ صدر قانون المكتبة الوطنية برقم ٥١ الذي قضى بتأسيس مكتبة لحفظ وجمع التراث العراقي والعربي، لكن ذلك لم يتم تنفيذه على صعيد الواقع، ثم ألحقت المكتبة بوزارة الثقافة والارشاد بموجب القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٤ ونقلت المكتبة التي توسعت وكثرت مقتنياتها من شارع الزهاوي إلى دار السفير المصري في الوزيرية بعد انتقال السفارة المصرية إلى حي المنصور.

الإيداع وقوانينه

عام ١٩٦٩ صدر قانون المطبوعات ونص على تقديم نسخة واحدة من المطبوعات من قبل المطابع العراقية إلى المكتبة الوطنية وعدد آخر من المكتبات، منها المكتبات المركزية في جامعات بغداد والموصل والبصرة، لكنه لم يشمل الدوريات حتى عام ١٩٧٠ حين صدر قانون الايداع رقم ٣٧، وعد المكتبة الوطنية مركزا للايداع وألزم اصحاب المطابع بايداع خمس نسخ مما يطبع من المصنفات في مركز الايداع، ويمكن مراجعة القانون المذكور لمعرفة المواد التي الزم بموجبها الناشر بتقديم نسخ المصنفات على وفق تلك المواد إلى مركز الايداع وشملت المصنفات (الرسائل الجامعية، الرقوق السينمائية، والمايكرو فيلم، والمايكرو فيتش، والسلايدات والبوسترات والنوتات الموسيقية والكتب الممنوعة) ولم تكن (الاقراص المدمجة قد ظهرت يومها) وهكذا نمت المكتبة الوطنية وتضخمت مقتنياتها وتعددت واجباتها، الأمر الذي اوجب ان يفرد لها بناء يتسع لوظائفها التي تعددت، ووقع الاختيار على المكان الحالي مقابل وزارة الدفاع لقربه من اغلب كليات ومعاهد جامعة بغداد لتسهيل مهمة الطلبة في الوصول إلى مبتغاهم، وشرع في البناء عام ١٩٧٢ واكتمل عام ١٩٧٧ وانتقلت اليه بأجهزتها ومقتنياتها وملاكها.

جمال المكتبة ومعمارية المكان

اخذت هندسة البناية بعين الاعتبار وظائفها وطبيعة عملها واحتياجاتها لذا كان تصميمها الاساس يتألف من سرداب واسع وطبقة ارضية وطبقتين أخريين وإلى الجانب الأيمن قاعة تتسع لثلاثمائة شخص وتحتوي ثلاث غرف للترجمة الفورية، فالقاعة مخصصة للمؤتمرات والندوات والمحاضرات وفي الجانب الايسر قاعتان متوسطتان خصصت احداهما للدوريات واعدت الثانية معرضاً دائماً للفنون التشكيلية.

وفي الطبقة الارضية قاعة خصصت لعرض الكتب ثم قاعة قسم التزويد وشعبة التبادل والاهداء وقسم الايداع القانوني، كما ان هناك قاعة مساحتها ٣٠٠ م٢ خصصت لقسم الصيانة والتجليد.

اما الطبقة الاولى فتضم المكاتب الادارية وقسم الدوريات وقسم الببلوغرافيا، يليه قسم الفهرسة والتصنيف ويضم شعبتين واحدة للمطبوعات العربية والاخرى للمطبوعات الاجنبية وكان يعمل في هذا القسم اكثر من ٢٠ مكتبياً ومكتبية.

مجاميع نادرة

قاعة المطالعة الرئيسة في المكتبة تتسع لثلاثمائة قارئ وتقع في الجانب الغربي من الطابقة الاولى وتحتوي على اثني عشر معتكفاً مستقلاً وغرفة لموظفي قسم المراجع والاعارة، وهناك غرفة ضمت ثلاث مجموعات متخصصة الاولى - الكتب النادرة ويزيد مجموعها على ١٢٠٠ كتاب حسب تقرير اصدر، مديرها الاسبق فؤاد قزانجي عام ١٩٧٧ ولم يرد بعده ما يشير إلى زيادة هذا العدد.

والمجموعة الثانية وهي الكتب المحجوزة الخاصة بالعهد الملكي والعهد الجمهوري قبل الانقلاب البعثي.

والمجموعة الثالثة تضم خمسمائة كتاب من كتب مكتبة البلاط الملكي وفيها عشرات من الكتب الخاصة بتاريخ العراق السياسي والاجتماعي، ومنها ايضاً كتب مدرسية استخدمها الملك غازي والملك فيصل الثاني كتب عليها اسميهما بخطيهما وكتب مهداة من المؤلفين إلى الملكين، وكتاب وحيد من تأليف الملك فيصل الثاني وضابطين هما يوسف النائب وماجد عبد الستار بعنوان "اساليب الدفاع عن النفس" ويتحدث عن طرق اتقاء ضربات الخنجر والحربة والضربات المفاجئة، وهذا الكتاب مطبوع بآلة استنساخ (الرونيو) بـ ٥٢ صفحة من القطع الكبير. ذكر ذلك في تقريره المشار اليه آنفاً مدير المكتبة الاسبق فؤاد قزانجي.

وفي الطابقة الثانية قاعتان استخدمتا مركزاً لحفظ الوثائق وقاعة خصصت لوحدة المايكرو فيلم وضمت اجهزة تصوير وقراءة واستنساخ، وهذه الوحدة ازدهر عملها ايام مدير المكتبة السابق الراحل عبد الحميد العلوجي وتمكنت من تصوير العديد من الكتب والمجلدات تتسع لأكثر من مليون مجلد وأضيفت إليها الحاسبات أواخر الثمانينيات.

وهناك خمس طبقات ملحقة فيها مخازن للكتب والمجلدات خصصت الرابعة منها للكتب الاجنبية والثالثة للكتب العربية والرسائل الجامعية التي زاد عددها على ١٨٠ الف رسالة حسبما ذكرت الببلوغرافيا السنوية التي كانت تصدرها المكتبة.

والطابقة الثانية للدوريات، الاولى لكتب الاهداء والتبادل والايداع وتركت الخامسة لخدمات مركز الوثائق.

اقسام المكتبة

اقسام المكتبة رتبت على وفق اعمالها ونحن نذكرها هنا بتسلسل يعتمد الذاكرة وليس حسبما هو واقع او بحسب الاهمية:

١-قسم الايداع القانوني.
٢-الفهرسة والتصنيف.
٣-الببلوغرافيا والكشافات والاحصاءات.
٤-التزويد.
٥-الاعارة والمراجع.
٦-الدوريات والمطبوعات الاخرى

واضافة إلى الاقسام هناك اربع شعب هي شعبة التبادل والاهداء والمجموعات المتخصصة والمواد السمعية والبصرية والخرائط والملصقات والصور الفوتغرافية.

وضمت المكتبة حتى نهاية القرن الماضي اكثر من ١٥٠ الف مجلد بينها ٣٥ الف مجلد باللغات الاجنبية واكثر من ٢٥ الف مجلد للصحف والمجلات العربية والاجنبية ومن المعلوم ان مجموعات شخصية لعدد من الادباء والمؤرخين والكتاب العراقيين اضيفت إلى المكتبة منها مجموعة الاديب يوسف يعقوب مسكوني النادرة وكذلك مكتبة يوسف داود سمرا الغنية.

العلوجي مصدراً للمعلومات

المعلومات الواردة في التقرير في اعلاه اعتمدت على معلومات شخصية مستقاة من احاديث مباشرة مع المرحوم عبد الحميد العلوجي مدير المكتبة في الثمانينيات وعدد من الببلوغرافيات والاحصاءات والكشافات التي كانت تصدرها المكتبة وكتابات السيد فؤاد قزانجي مديرها الاسبق ومنها كراس (المكتبة الوطنية وافاق تطورها) ومتابعات شخصية بدأت منذ كانت المكتبة تستأجر داراً في شارع الزهاوي قرب ساحة الكشافة.

نظرة في المقترحات

هذه بعض المقترحات التي نرى امكان الاخذ بها لاستعادة ما يمكن استعادته مما فقد من الكتب النادرة وغيرها، وتطوير وظائف المكتبة بما يتماشى ومعطيات التقدم التكنولوجي وتطوير العمل المكتبي في ضوء حاجات العصر.

بالنسبة لما يمكن عمله لاستعادة المفقودات نقترح ان تشكل وزارة الثقافة لجنة من موظفي المكتبة ذاتها تعمل على ترتيب جرد ان لم يكن متكاملاً فهو، في الاقل، مشتمل على ما يمكن درجه من معلومات وأرقام تتوافر من مخاطبة بقية المكتبات التي نجت في بقية محافظات القطر من النهب والسلب والاحراق.

والتي كانت تزود بالاصدارات الببلوغرافية والاحصائية المركزية، فضلاً عن مصادر اخرى كالمؤسسات والاشخاص ومخاطبة مؤسسات المجتمع المدني والمساجد والشخصيات التي حازت (امانة) بعض مقتنيات المكتبة لحفظها من التلف والضياع، وعرض مكافأة مدنية ومعنوية لمن يعيدها من الحائزين الاخرين من دون مساءلة، ولدينا معلومات مؤكدة حول وجود اعداد ضخمة من الكتب العائدة للمكتبة الوطنية ما زال الحائزون عليها يترددون في اعادتها لاسباب كثيرة.

اما بالنسبة لتطوير وظائف المكتبة فنرى ان اقسامها وشعبها تكاد تكون مكتملة لكن نشاطها هو الذي يجب ان تعاد صياغة آلياته وفعاليته، وبما ان المكتبة تعتمد نظام (ديوي العشري) منذ قيامها ونموها وتدربت ملاكاتها كلها عليه، فان استمرارية اعتماد هذا النظام تمنح المكتبة قدرة عالية على التواصل وتفتح الابواب واسعة للاستخدام الموسع للحاسبات التي ستبرمج على هذا النظام. وبالتوسع في استخدام الحاسبات يمكن وضع الاسس الاولية لما يمكن تسميته بمكتبة الاقراص المدمجة وهذه ستتطلب فتح قاعة مطالعة تكون "الشاشات" فيها بديلاً عن الكتاب، ما يغني عن الكثير من الاجراءات الروتينية ويختصر الجهد والزمن ويفتح الابواب امام (الانترنت المكتبي) وتكوين شبكات الخدمة المكتبية، وهذا يعني ان ملايين الكتب يمكن وضعها في غرفة واحدة (مجازياً) ويمكن للمطالعين في اماكن بعيدة الاطلاع عليها، بينما تبقى الاصول محفوظة. كذلك يمكن عقد اتفاقات (الخدمة المتبادلة) مع مكتبات في دول اخرى، وهنا تبرز الحاجة إلى تأهيل ملاكات تتمتع بخبرات تقنية عالية.

وكذلك يمكن استخدام الاقراص المدمجة في استنساخ الكتب والدوريات وبقية المطبوعات والصور الفوتغرافية والرقمية والخرائط والرقوق ويمكن للمكتبة تجفير مفاتيح خدماتها عبر الانترنيت مثلاً او قصر هذا التجفير على بعض الخدمات التي يمكن ان تتقاضى عن تقديمها رسوماً تسهم في تطويرها وتوسيع قاعدة خدماتها، وهناك الكثير في هذا المجال مما لا يتسع له هذا المقال الصحفي.

تثاؤب

خليل الأسدي

يتثاءب الموتى على ما قد تبقى
هازئين من الحياة،
ويلعبون الدومينو....
❖-ماذا تبقى من جحيمك يا رفيق؟..
دعنا نعيد (الكونفرنس)..
دعنا نقاسم بعضنا..
خبز المهازل كلها..
ارني جحيمك..
كي اراك..
وأعرفك..
فالموت اصبح مثلما تلقي بزهر النرد...
.....
.....
يتضاحك الموتى وهم يرمون زهر النرد..
يرتشفون شايا ميتا ايضا..
وينتظرون موتى اصدقاء..
كي يستعيدوا ميتة..
أو ما تبقى من جحيم
ويتذكروا ماضي حياة.....